Diaa Al-Fekr Journal for Research and Studies

مجلة ضياء الفكر للبحوث والدّراسات

Journal Homepage: https://ojs.diaalfekr.com/index.php/sjlb

Print ISSN: 3006-5356
Online ISSN: 3006-5364

Vol. 1, Issue 9, 2025, pp. 117 – 142

القِيَم الأخلاقيّة في جهاد التّبيين
Moral Values in JIHAD AL-TABYEEN

DOI: https://doi.org/10.71090/zkm64539

• درويش، سعيد محمد – طباجة، يوسف عبد الأمير. (٢٠٢٥). القِيَم الأخلاقيّة في جهاد التّبيين، مجلة ضياء الفكر للبحوث والدّراسات، المجلد (١)، العدد (٩)، ص ص. ١١٧ – ١٤٢. https://doi.org/10.71090/zkm64539

القِيَم الأخلاقيّة في جهاد التّبيين

Moral Values in JIHAD AL-TABYEEN

الباحث سعيد محمد درويش*

Saeed Mohammed Darwish*

أ. د. يوسف عبد الأمير طباجة*

Prof. Dr. Youssef Abd Al-Amir Tabaja*

الملخّص:

يتعرّض العالم الإسلامي لغزوٍ ثقافيٍّ بالتزامن مع حملة عسكريّة يقودها الغرب ضدّ الإسلام المحمّدي الأصيل الرافض للذلّ والتبعيّة المتمثّل بنهج آل البيت، ولأجل تحقيق الهدف تمّ تجنيد مئات المنصّات الإعلاميّة المكتوبة والمرئية والمسموعة مدعوماً بجيش من الكتبة والكذبة لتشويه هذا النهج وصبغه بتسميات شيطانية توافق هوى الغرب، فكان لا بدّ من مواجهة هذه الحملة البشعة البعيدة عن القِيم الإنسانية والأخلاقية التي أظهرت زيف القانون الإنساني الدولي بالأدوات عينها، ولكن وفق أدبيّات أخلاقية وقِيم إنسانية سامية بعدما تبيّن زيف الحضارة وأنّها تمارس المكر والخداع لتحقيق الأهداف.

الكلمات المفتاحية: الغزو الثقافي، تشويه صورة الإسلام، الدفاع عن الاسلام الأصيل، أدوات المواجهة، زيف الحضارة الغربية.

Abstract:

The Islamic world is being subjected to a cultural invasion, alongside a Western-led military campaign against genuine Mohammedan Islam, which rejects humiliation and submission, embodied in the approach of the Prophet's family. To achieve this goal, hundreds of prints, visual and audio media have been mobilized, supported by an army of writers and liars, in order to distort this approach and it has tainted it with satanic names, in line with the whims of the West. It was necessary to counter this heinous campaign, far removed from the human and moral values that purified the falsity of international humanitarian law, with the

* كلية الدراسات الإسلامية/ الجامعة الإسلامية في لبنان.

Email: saiddarwish13@gmail.com

* Faculty of Islamic Studies/ Islamic University of Lebanon.

* أستاذ محاضر الجامعة اللبنانية/ المعهد العالي للدكتوراه - لبنان.

Email: yatabaja@hotmail.com

* Professor at the Lebanese University/Higher Institute for Doctoral Studies - Lebanon.

same tools, but based on moral doctrine and noble human values, after it became clear that civilization was falsifying and resorting to deception and cunning to achieve its ends.

Keywords: Cultural invasion, Distortion of the image of Islam, Defense of authentic Islam, Tools of confrontation, Falsehood of Western civilization.

المقدمة:

أثار السيّد علي الخامنئي مصطلح التبيين كجهاد بعد اشتداد الغزو الثقافي للعالم الإسلامي الذي تقوده الدول الاستعمارية لأجل السيطرة على الشعوب تحت حجّة القضاء على الإرهاب بهدف سرقة مقدّرات الدول والتحكّم بها سياسيًّا واقتصاديًّا لتغدو أداةً طيّعة تعمل وفق برامج أُعدّت لها مسبقاً. وليس بالإمكان مواجهة هذا الغزو إلا بالأسلوب الذي يناسب كلّ مرحلة وفق منهج أخلاقي مستمَدّ من شريعة السماء، لمنع الخطر المُحدق الذي يعتمد مختلف الأساليب لتحقيق الأهداف.

إنّ التقاعس عن مواجهة تلك الحملات الدنيئة ومنعها من الانتشار يجعلها محلّ استحسان وقبول، بحيث يصبح التباهي بالفسق والفجور أمراً عاديًّا، وخروج الإعلام عن اللياقات والقِيم الأخلاقية عملاً مقبولاً تحت شعار حرية التعبير بعد أن تُتّخذ الأزمات الاقتصادية والاجتماعية غطاء لنشر السلوكيات الخاطئة.

هذه الحرب بحاجة إلى دراية وأسلوب يتّسم بالموضوعية والشفافية بعيداً عن التجنّي والاتهامات الباطلة التي تبدأ من أمانة النشر باعتماد المصادر الموثوقة من أشخاص وأدوات بعيداً عن تأثير نوازع النفس وضغط الهوى، كما أنّها بحاجة إلى شجاعة في نشر الحقيقة لأنّ أفضل الجهاد كلمة حق في وجه سلطان جائر، بعد تجاوز كلّ الضغوطات الداخلية والخارجية والنفسية والمشاعر السلبية، باعتماد الصدق حتى لا تؤثّر على فرص النجاح في إيصال الرسالة المطلوبة، بسلوك طرق الإقناع باستخدام الحكمة والموعظة الحسنة واللين في القول مهما كانت التبعات.

إشكالية البحث:

هي قضيّة تشويه حقائق وتزييف معتقدات في محاولة للنّيل منها وتوهينها باستخدام كل الطرق المشروعة وغير المشروعة لتمرير الأفكار الملوّثة بالسموم لأجل إبعاد الناس عن الدين خدمة لمشروع شيطانيّ كبير. تحتاج مواجهة المشروع الشيطانيّ لمقوّمات وأدوات من شأنها منع التمدّد والاستفحال بالوسائل التي تناسب كلّ حالة مع مقاربة عقلية ومنطقية لإظهار ما يخفى وذلك إن نفعت الحكمة في مواجهة الشر، لأنّ القضايا التي يطرحها الغرب تحت أسماء برّاقة ما هي إلا شعارات جوفاء.

فرضية البحث:

إيجاد الرّدّ المناسب على كلّ الإشكاليات التي تُطرح بين الحين والآخر، مع وجود الشخص الجدير بحمل مسؤولية التصدّي والرّدّ على الشبهات المطروحة بمنطق وحكمة بالعودة الى المصادر المعتبرة التي لا يرقى إليها الشك، ابتداءً من القرآن الكريم إلى الكتب السماوية وسِيَر الأنبياء والصالحين مع تقديم خطط المعالجة، والدواء المناسب لكلّ معضلة، فالمعضلة الاقتصادية بحاجة إلى متخصّص في علوم الاقتصاد، والاجتماعية بحاجة الى متخصّص في علوم النفس والاجتماع والتربية، وكذا العلوم الدينية تحتاج إلى رجال دين أكفاء لديهم الجواب على كلّ التساؤلات.

هذه القضايا تحتاج إلى جهود جبّارة لتسفيه كلّ الخداع والتضليل الذي يمارس بحقّ الشعوب المغلوب على أمرها، وخاصّة الفئة التي ترفض الظلم والقهر واتّخذت من كربلاء منهاجاً ومدرسة.

أهداف البحث:

وجيه الانتباه إلى طريقة جديدة غير معهودة من قبل في تناول جهاد التبيين كفريضة واجبة لا تقل أهميّة عن العبادات الأخرى، مع أنّ فكرة التبيين متداولة كسلوك وممارسة لكن بمفاهيم قديمة.

الانطلاق من القيم الأخلاقية الواجب اتّباعها {ادفع بالتي هي أحسن ...} لإيصال الرسالة المطلوبة وتحقيق الأهداف المرجوّة بسلوك أدبيّات منتقاة بدراية بعيدة عن التأويل باعتبارها قيَم مشتركة بين جميع الديانات والاتجاهات العقائدية والتي أقرها الشرع المقدّس وعملت بها الفطرة السليمة.

تأكيد السُّنَن القرآنية والتاريخية على وجوب وضع حدّ للصّلف الغربي والتجاوزات التي بلغت أوجها كي يبقى العالم الثالث في موت سريري، وهذا الخطر بحاجة إلى ثورة فكرية لاقتلاع المفاهيم المقلوبة التي شرّعها الغرب لنفسه عبر هيئات ومنظمّات وجمعيات أمميّة خدمةً لأهداف غير نظيفة وإن بالإمكان نفض غبار الوهن عن كاهل الشعوب المستضعفة.

أهمية البحث:

إدراك الأبعاد الأخلاقية والروحية والأخروية لجهاد التبيين وإرساء قواعد سلوكية جديدة لتنظيم العلاقات البشرية وفق المنهج القرآني الأصيل والذي عمل له النبي والأئمّة من بعده، وسار عليه العلماء الربّانيون كلٌّ حسب ظروفه، وأنّ الكثير منهم دفع الأثمان الباهظة لأجل إحقاق الحق.

اعتماد الأمانة العلمية في تناول الحيثيّات والموجبات الأخلاقية، للتأكيد أنّ قوّة الحق لا يمكن أن تُهزم وأنّ القوّة لله جميعاً، مع وجود نماذج بلغوا المقامات الرفيعة أعاروا لله جماجمهم ولا يخافون لومة لائم في مواصلة طريق ذات الشوكة.

الدراسات السابقة:

هناك عدّة دراسات حول جهاد التبيين كمصطلح، وقد أشار إليها القرآن الكريم في العديد من السُّور والآيات، باعتباره من أهمّ الواجبات المتمّمة لكلّ العبادات.

يعتبر كتاب البيان والتبيين للجاحظ من أهمّ المؤلّفات التي تعرّضت للموضوع.

كتاب جهاد التبيين للسيّد علي الخامنئي الذي يُعدُّ مرجعاً حول مفهوم الجهاد يقرأ الحاجة إليه لمواجهة التشويه الثقافي، والذي فتح الأذهان على مفهوم جديد غير مدرك بالمعنى الحقيقي لأنّه يحتاج إلى تضحية وبذل لأجل إعادة تشكيل المجتمع الرافض للظلم.

منهج الدراسة:

تمّ اعتماد عدّة مناهج للوصول إلى الغاية المطلوبة

- المنهج التاريخي السيري: اعتماداً على القراءات المتعدّدة في هذا الموضوع بالاستفادة من طرق الماضين في تناول الأفكار ومنهجية تحليلها باتّباع الموضوعية بعيداً عن المبالغة.
- المنهج الاستدلالي: عن طريق تتبّع الأفكار التي وردت في الدراسات القديمة والحديثة وموازنتها بطريقة منطقية مع ما ورد في القرآن الكريم والسنَّة الشريفة
- المنهج الفلسفي: دراسة الافكار وتحليلها للوصول إلى المعنى الحقيقي والمفاهيم المقصودة منها خاصة غير الظاهرة للعيان.

القِيَم الأخلاقيّة في التّبيين

من خلال نظرة خاطفة على الواقع، نرى بأمّ العين الخطر المُحدق بأمّتنا على الصعد العسكرية والاجتماعية والأخلاقية، والأخطر من هذا الغزو الثقافي الذي تقوده القوى الاستعمارية الفاسدة والتي تسعى لسحق الشعوب الخارجة عن طاعتها، ولا سبيل لمواجهة الغزو إلا بالفكر الديني المنتج والفعّال والمنهج الأخلاقي المستمَدّ من الشريعة السمحاء، لأنّ أعراض الخطر تتجذّر في المجتمع يوماً بعد يوم، ومع استفحالها لا تنفع المسكّنات ولا المهدّئات، بل يجب البحث عن جذور الخطر وأسبابه ودوافعه ومن يقف خلفه لاستئصاله

من جذوره، لأنه لا يكفي قطع يد السارق دون البحث عن أسباب السرقة والعوامل المساعدة والظروف الدافعة، وهذا يحتاج إلى ثورة أخلاقية وتشكيل منظومة عالمية للقيام بهذه المهمة لمنع انتشار المظاهر الغربية المسيئة للمجتمع التي تمسّ الكرامة وتخدش القيم، فالغفلة عن ذلك تؤدي إلى تمدّد ظواهر الخيانة وما ينبغي من غش وقلّة أمانة وبالتالي الغفلة عن العدوّ.

إنّ عدم التصدّي لتلك الظاهرات تسمح للأفعال الدنيئة بأن تكون محلّ استحسان وقبول لدى بعض الفئات، ويصبح التباهي بالفسق أمراً عادياً، والفجور الإعلامي الخارج عن اللياقات يصبح عملاً مقبولاً تحت شعار حرية الرأي والتعبير، بالإضافة إلى التستّر تحت غطاء الأزمات الاقتصادية والاجتماعية لتمرير الكثير من السلوكيات الخاطئة.

هذه الحرب بحاجة إلى لغة جميلة، وأسلوب حسن، ودراية عميقة تتّصف بالموضوعية والشفافية، بعيدة عن التجنّي والاتهامات الباطلة، وحمل الكلام على الوجه الحسن كون منظومة القيم تتقدّم على العمل، فالأسلوب الجميل هو الذي يرقى بالقلوب، ويوثّق عُري المحبة في النفوس وبهذا يرفع الإنسان إلى عالم الحقيقة وبلوغ المراتب العليا بالتأدّب بآداب الرسل والأوصياء، تجنّباً للأساليب الملتوية. وهذا الأمر يقع على عاتق الفرد بالدرجة الأولى، كونه المحرّك الرئيسي للمجتمع، وعليه تقع مسؤولية تقويم السلوك انطلاقاً من الأخلاق القرآنية والمفاهيم الإنسانية التي تفقد قيمها دون الاتّكاء على عقيدة متينة وراسخة والتي لا تجد مستقرّها إلا في قلب المؤمن.

تكمُن مسؤوليّات الفرد في التدخّل السريع لدفع الشرّ ومنعه من الانتشار واتّساع رقعته ومحاصرته في مهده، فلا يكفي السكوت عنه على قاعدة " ما لنا وللسّلاطين " فاللامبالاة جريمة، والامتناع عن الرفض مداهنة للشرّ، وقبول السلوك الخاطئ قبول للمنكَر وخلافاً للأدبيّات الأخلاقية، وهذا ما يؤدّي إلى الإفلاس الأخلاقي الذي يقود إلى الانهيار والهزيمة أمام العدو، والسقوط تحت عجلات حملاته الشعواء، وبذلك تتداعى وتسقط القيم، وتتفشى الظواهر القذرة، كالكذب والغش والسرقة والتزوير.

وكذلك هي مسؤولية المجتمع الواجب عليه التصدّي لحالات الانحراف والخداع، عبر تحصين الساحة بما يتناسب مع أسلحة العدو وأدواته المستخدمة من خلال إعداد النخب وتأهيلها وتزويدها بالوسائل المطلوبة فكرياً ومادياً للتصدّي لحملات الغزو والتشويش والتشويه.

أمانة النشر:

تعتبر الأمانة من القيم الإنسانية والفضائل السلوكية التي حثّت وأكّدت عليها الشريعة الإسلامية والسُّنن الطبيعية، فهي بعكس الخيانة والتي تُعدّ من الرذائل البغيضة في الشرع والعقل وفي القوانين الوضعية.

إنّ مُطلَق علم اكتسبه الإنسان، يُعتبر مسؤولية أمام الله والناس، قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُون}، فهي مسؤولية عظيمة حملها الإنسان، تشمل جوانب عديدة في الحياة، من أمانة العلم إلى نشره، وأمانة المال واكتسابه وصرفه، وأمانة النصح والمشورة، أمانة أداء الحقوق والمحافظة عليها، أمانة صون الجوارح عن الخطل والزّلل والانحراف. كلّ ذلك بحاجة إلى نفوس كريمة قادرة على التحمّل والصمود أمام التحديات والمغريات، فهي تكاليف إلهيّة فُرضت على الناس للحدّ من تأثير نوازع الشرّ، وسطوة الشيطان على النفوس.

ومن الأمانات المتعلقة باستقامة الحياة الاجتماعية، المحافظة على الأسرار، خاصة المتعلقة بحياة الناس وكراماتهم، التي قد تخلق الاضطراب في المجتمع ممّا يؤدّي إلى تفكّكه، قال تعالى: {لا تخونوا الله والرسول}، والتي تُعتبر بحدّ ذاتها خيانة للمؤمنين لأنّها من المفاسد السلوكية كالأسرار العسكرية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية التي قد يستغلها البعض لتدمير المجتمع وتشويه صورته.

فالإنسان الواعي هو الحريص على صون المجتمع وحفظه باتّباع سُبل الصدق والأمانة، كونها مسؤولية يترتّب عليها عقاب أخروي نتيجة حالة اللا استقرار التي بثّها بين الناس.

من مصاديق الأمانة الصدق في نقل الخبر دون تحريف أو تبديل أو اقتطاع أو تشويه أو زيادة، سواء كان الخبر لفظياً أو كتابة، لأن التقنيات الحديثة تستطيع تركيب الأحداث والأخبار وفق الهوى، قال تعالى:{ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} ، لأن النشر خلاف الحقيقة يؤدّي إلى نتائج غير محمودة العواقب، حتى القيام ببعض المظاهر التي تبدو حسنة وجميلة قد تكون نفاقاً ورياءً، فالأساس هو الاعتقاد القلبي الذي يظهر في السلوك، كما جاء في الحديث عن أبي عبد الله (ع) حيث قال :" لا تنظروا الى طول ركوع الرَّجُل وسُجودِه، فإنَّ ذلك شيء قد اعتاده، فلو تركه استوحش لذلك، لكن انظروا إلى صدق حديثه وأدائه أمانته" ، والأمانة هي الأساس الذي يرعى حقوق الناس وفقاً لتعاليم السماء، وبذلك يتم إظهار صورة نقية عن شخصية المتحدّث أو الناشر، وخلافه تشويه لصورته ولصورة الجهة التي يعمل لها إضافة إلى انخفاض منسوب الثقة.

قد تدفع الأهواء المرء إلى ركوب موجة العقل الجمعي بالانصياع وراء الأخبار التي تُضَخّ بكميات هائلة، وبوسائل متعددة ومع جهات متفرقة، وخاصة الصادرة عن وسائل مخدوشة السمعة، مشهورة بالكذب حتى

لو كانت مغلفة بأغطية جميلة يعمل عليها متخصّصون في هذا المجال لم يرعَووا عن صناعة الأكاذيب في مطابخ تخدم أغراض خبيثة.

إنّ الكلمة الطيبة لها الأثر الحسن في النفوس، والكلمة الطيبة تطلق من أهل التقوى والإيمان لعلمهم المُسبق بالأثر الذي تتركه سلباً أو إيجاباً، قال تعالى :{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ٢٤ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٢٥ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ} ، من الظاهر يستفاد بالكلمة الطيبة كالشجرة التي تعطي الثمار في وقت معين، لكنّ الغاية هي النتيجة المأخوذة من التمثيل بتثبيت الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، التي بها الصلاح في الدنيا والفلاح في الآخرة.

فالخيانة خلاف الأمانة، وهي الأمور القذرة في الحرب والسلم حيث تستهدف بيئة محدّدة عبر أساليب مضلّلة وفارغة كالأخبار الكاذبة ونقل الصورة غير الصحيحة، أو تكون بالإغراء والتهديد والوعيد، والذين خانوا الله من قبل يسهل عليهم خيانة أوطانهم ومعتقداتهم، قال تعالى :{ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } ، فالخيانة جزء من طبيعة بعض المجتمعات المضطربة التي لا استقرار لها في إيمانها ومعتقدها، لذا تراها أمراً عادياً بسبب فقدان الأفق الفكري والديني لهذا السلوك والنظر إلى الوجه النفعي السريع لهذا العمل، وعمر بن سعد نموذج عندما أنشد قائلاً :

إنّما الدُّنيا خيرُ مُعجّلٍ وما عاقلٌ باعَ الوجودَ بِدَينِ.

إنّ هذه العملية تخلق حالة من الإحباط بين الناس وتبثّ التفرقة، وخاصة في المجتمع المتنوّع الانتماءات والاتجاهات السياسية والدينية والتي تعمل فيه وسائل إعلام تعتاش على بثّ الخلافات وخلق النزاعات وحالة اللا استقرار، وتقتات على فتات الأخبار الملفّقة المدفوعة الأجر ولا تراعى فيها الحُرُمات والكرامات.

من المسؤولية الكبرى تحرّي الخبر اليقين، باستعمال الشفافية في ردّ الشُّبهات واعتماد المنطق السليم دون النظر إلى رضى الناس واستساغتهم للخبر، فالغاية الأساس هي رضى الله تعالى بالدرجة الأولى، وإيصال الرسالة الصحيحة والفكرة النقية، من الأمثلة على سوء الأمانة في نقل الخبر والنشر الإعلامي المصري أحمد سعيد عام ١٩٦٧ عندما اجتاح العدو الإسرائيلي شبه جزيرة سيناء، حيث قام بإيهام الناس أنّ القوّات المصرية على وشك تحرير فلسطين فيما كانت الدبابات الإسرائيلية تجتاز قناة السويس، وكذلك وزير الإعلام العراقي محمد سعيد الصحّاف وما قام به من عملية تشويه للخبر، عندما تحدّث إلى الإعلام أنّ القوات العراقية تقوم بسحق القوات الأمريكية التي غزت العراق، فيما كانت الحقيقة خلاف ذلك حيث الدبابات الأمريكية أصبحت في مطار بغداد وفي شوارعها.

الشّجاعة:

الشجاعة هي السِّمة الحسنة التي يمتلكها الإنسان للتحرّر من التبعية، ابتداءً من معرفة الحقوق والواجبات وبأن يأخذ كلّ صاحب حقّ نصيبه. والإنصاف بين الناس وإقامة العدل، ونصرة المظلوم حتى الشهادة، فهي لم تقتصر على ميدان معيّن، بل تشمل ميادين عديدة: في الحرب بأن لا تدع الخوف يتسلّل إلى النفوس، وكذلك حسن السلوك في إدارة المعارك والتخطيط الجيد، وفي السلم، الانتباه إلى خدع العدو وعيونه المبثوثة، واستخلاص الدروس والإعداد الجيد، وكذلك في الاقتصاد بفرض الرؤية الصائبة وعدم الخوف من سطوة القوّى الكبرى، والشجاعة أيضاً في طرح المشاكل والهموم والأفكار وعدم الخوف لأن المؤمن لا يخشى إلا الله.

وهناك الشجاعة في الهدوء وعدم الانجرار وراء الانفعالات والشائعات والتروّي في تقصّي الخبر والوقوف على حقيقته، وهذا يحتاج إلى جرأة، لأن ذلك قد يكون خلاف الهوى والخطة المرسومة، فالعدو قد يستغل التهوّر والانفعال لينفذ من خلالها إلى نفوس الناس واستثمارها لأجل الترويج لأفكاره وبثّ سمومه، وعدم التردّد في طرح مشروعه الخبيث.

وقد تأتي الشجاعة عن طريق الوراثة، فها هو الإمام علي (ع) يطلب من أخيه عقيل بأن يختار له امرأة ولدتها الفحول من العرب كي تُنجب له رجلاً شجاعاً، كذلك البيئة تصنع الشجاعة والإقدام، فتصبح سِمَة من سِماتها المميّزة التي تفتخر بها، وتبقى شجاعة إذا استعملت في المكان الصحيح وفي الوقت المناسب، وإلا أصبحت تهوّراً وحماقة تتعدّى حالة الدفاع عن النفس ومحاربة الظلم إلى التعدّي على كرامات الناس وإلحاق الأذى بهم عندها تصبح تهافتاً وسفاهة.

فالبيئة التي تتّسم بالشجاعة مأمونة الجانب لجهة شجاعة التمسّك بالحق وعدم التعدّي على حقوق الآخرين، بل تسخيرها في مواجهة العدو والتي تجلت بالمقاومة في لبنان حيث وقفت بالمرصاد للعدو وانتصرت عليه، وما زالت تمنعه من التعدي على الناس بعدما كانت الأرض والناس مشاعاً لهذا العدو، وقبل ذلك الموقف الشجاع الذي تمّ اتخاذه للتصدي للاجتياحات في العام ١٩٧٨ وفي العام ١٩٨٢ لم يكن أحد يملك الجرأة على ذلك سوى ذلك الرجل العظيم الإمام موسى الصدر وتابع من بعده آخرون حملوا نفس الشجاعة، وكذلك المواقف الشجاعة لقائد الثورة الإسلامية في إيران الذي تحدّى الاستكبار منذ أكثر من أربعين عاماً يقف بصلابة وشموخ أمام الهجمات الشرسة التي تتعرّض لها الجمهورية الإسلامية الإيرانية من قبل الاستكبار العالمي وأدواته في المنطقة وعدم الاهتزاز رغم قوّة الحصار.

قد يخاف المرء ويجبن أمام الحقيقة، إمّا مخافة على دنياه أو مخافة من الناس، مع علمه بأنّ ذلك يسخط الله تعالى: {واللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ} إنّ ذلك يدلّ على ضعف الإيمان والاستهانة بأوامر الله تعالى، وعدم المبالاة بحدود الشريعة، مع أنّ الإسلام حثّ المسلم بأن يكون شجاعاً في الحق ولا يخاف في الله لومة لائم، وأفضل الجهاد كلمة حق في وجه سلطان جائر.

لقد مارس المجتمع الإسلامي في عهد رسول الله (ص) وعصر الصحابة حرية النقد، فها هو الخليفة الثاني يقول: "أيها الناس، من رأى منكم فيَّ إعوجاجاً فليقوّمه" فقام الإمام علي (ع) وقال: " والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقوّمناه بسيوفنا" هي الشجاعة في قول الحق أمام السلطان وقد يتعدى ذلك بإقامة الحدّ على المخالفين وإن كان الخليفة بعينه.

أما في عصرنا الحالي، وكثرة وسائل الإعلام والكتبة، والخرافات التي تُبّثّ، والأراجيف التي تُنقَل والسيوف المُسلَّطة فوق الرؤوس، مدعومة بالوقاحة والجرأة وعدم الخجل من طرح أفكار السوء والفساد، وبثّ السموم والأفكار المنحرفة، والترويج لنظام عالمي جديد تحت عنوان التقدم والتحضر والازدهار بأدوات تقوم على التفاهة والانحطاط. هذا ما يتطلب من الفئة الواعية الوقوف بشجاعة أمام هذا التيار الهادر الذي يتخطّى كلّ القيم والحدود لفرض سطوته على العالم، ممّا يُحتّم علينا التصدّي لذلك بكلّ الوسائل المتاحة والأدوات المتوافرة، يقف خلفها رجال عظماء انتهجوا خط الحسين (ع) ونساء عظيمات انتهجنَ نهج زينب (ع).

الصّدق:

من الأساليب والطرق الناجحة في مواجهة الإعلام المضلّل والتي تبدأ بالصدق مع النفس بإزالة المشاعر السلبية، كونها تؤثر على فرص النجاح في الحياة، والتعامل مع الآخرين بإخراجها من الانفعالات والتوترات. الصدق هو نقطة القوّة في سيرتنا الجهادية التي تتطلّب أدوات أخلاقية وإنسانية راقية وثابتة غير قابلة للاهتزاز والتراجع، لا تؤثر بها العوامل الخارجية كالخوف والإغراء والتهديد، بل هو العامل المؤثر نفسيًّا على الصديق والعدو في آن، بما فيه من وقع لا يقبل الشك، عندئذ لا داع للكذب لأنّ لدينا من قوة المنطق وصدق اللهجة وتاريخ حافل بالتجارب ما يغني عن ذلك، كونه يفرض مستوى عاليًا في طريقة التعامل ومنهجية مُحكمة رصينة مُستمَدّة من الأمر الإلهيّ التي تفرض منطق الصدق حتى لو كان خلاف المصلحة الشخصية وهوى النفس، وقد يترتب على الصدق اثارٌ غير مرغوبة على المستوى الدنيوي بسبب الأثمان الكبيرة التي قد ندفعها للمحافظة على نقاء السيرة والثقة العالية الممنوحة من الصديق والعدو، وهو ما يتجاوز القول إلى العمل والسلوك لأنّه فعل إيمان يُراد منه إيصال الفكرة وغرسها في الأذهان من خلال السلوك.

فعن الإمام الصادق (ع):" كونوا دعاةً لنا بغيرِ ألسِنتكم"، فيجب أن يظهر السلوك دون أن يتكلم اللسان، وأن يطابق القول العمل، كون الحقيقة تظهر أكثر تجلياً في الأفعال وليس في الأقوال، وهذا ما أكدت عليه رسالات السماء، فقد كان الرسول (ص) الأنموذج الأعلى الذي أعطى المصداقية قوّتها وعُرِفَ بالصادق الأمين قبل البعثة.

المصداقية تتجاوز الحالة الخاصّة إلى جميع الشؤون الحياتية ممّا يوجب الإخلاص في العمل والتجرّد من المصالح الشخصية، والترفّع عن الدنايا بعدم الدخول في زواريب ضيّقة بل التركيز على خدمة القضايا الكبرى التي تحتاجها الأمّة لمواجهة الحروب بكلّ أصنافها التي تخاض ضدّ أمّتنا، فالخير والبركة في الإخلاص، في تنفيذ المهمة، فالله تعالى مدح المخلصين من عباده، قال تعالى:" كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ"، هذا الإخلاص مرجعه الصدق في نقل الحقيقة وهو الذي أبعد عنه السوء والفحشاء وبذلك أبعد المخاطر عنه وتحصّن من الشر والإغواء الذي أحاط به، وقد فاز برضوان الله تعالى.

هناك الكثير من النماذج على المستوى العلمي منذ بدء المسيرة الجهادية في لبنان مع مجيء الإمام موسى الصدر، ووضع الخطط الأوّليّة لإنقاذ الطائفة الشيعية من ظلام الإقطاع دون المسّ بحقوق الآخرين والتعرّض لهم، التي قامت على الصدق والشفافية عبر وضع رؤية واضحة المعالم بحقوق الطائفة الضائعة في زواريب الطائفية السياسية، والمسلوبة من قبل حيتان الإقطاع، وظهرت نتيجة هذا النهج في المسيرة الحالية، إذ رفع بفكره وعقله وصدق بيانه مداميك الطائفة وجعلها في مصاف الطوائف الأولى – ولو نسبياً – من حيث الحقوق، وإن لم تتقدّم عليهم في بعض الجوانب، العلمية والصحّية والاقتصادية والمالية والاجتماعية، أو أصبح للطائفة مؤسّساتها الخاصة في ميادين شتّى، كون المسيرة اتّسمت بالمصداقية دون مواربة أو مداهنة، فقد دافع عن المحرومين من كلّ الطوائف من أقاصي الجنوب إلى أطراف الشمال والبقاع، والتي هي فعل إيمان وتوكّل على الله، وصوابيه هذا النهج المنطلِق من الإسلام القرآني.

عن الإمام الكاظم (ع):" قل الحق وإن كان فيه هلاكُك فإنّ فيه نجاتَك، ودعِ الباطل وإنْ كان فيه نجاتُك فإنّ فيه هلاكَك"، فقول الحقّ نجاة – إلا في بعض الحالات والظروف – لأجل إعطاء صورة نقيّة عن النهج السليم الذي تسلكه، فهو الذي يشكل الخطر الحقيقي على الإعلام المضلّل والدعاية المزيّفة التي تريد تشويه صورة الحق وأهله.

الإقناع:

الإقناع مهارة فنّية تستخدم في مجالات عديدة، منها التّبيين، غايتها محاولة إقناع الآخر بفكرة ما، أو بأي أمر كتسويق منتج أو إعلان، بهدف جعل الآخر يقبل الفكرة باعتماد الصدق في طرح الموضوع بصورة واضحة لا يغشاها الضباب باستعمال وسائط بسيطة غير معقّدة سهلة الفهم والاستيعاب، تستند إلى مهارات محدّدة وضعها أهل الاختصاص ابتداءً من العبارات المحبّبة والوجه البشوش البعيد عن الانفعال، بلغة سهلة يفهمها الآخر، مع الأخذ بعين الاعتبار المستوى الفكري للشخص المخاطب، لأنّ خطاب أهل العلم والمعرفة يختلف عن خطاب بسطاء الناس، والخطاب يحتاج إلى أشخاص يستطيعون التفاعل مع المستويات كافة، فالكلمة تترك الأثر في نفس السامع إن كانت طيبة أو قبيحة، كما تلعب لغة الجسد دوراً هاماً في عملية الإقناع من خلال حركة اليدين أو النظرات أو وضعية الجسم، وكذلك لا بدّ من الابتعاد عن التصلّب في المواقف بحيث يكون لدى الخطيب القدرة على جذب انتباه الآخر، مع فسح المجال للآخرين بطرح أفكارهم والتعبير عن وجهة نظرهم مهما كانت لإعطائهم مزيداً من الثقة بالنفس بأن يطرحوا هواجسهم ويعبّروا عن مخاوفهم بحرية، وبذلك تُزال العقبات التي تعترض الطريق المؤدي إلى فهم الحقيقة، وبناء أرضية مشتركة قائمة على الحوار والتفاهم.

فالسبيل الأمثل للإقناع القائم على المنطق والاستدلال بعيداً عن تدخل العاطفة، التي يقصد بها تقديم الدليل والبرهان والحجة الدامغة التي لا يشوبها الشك، كتقديم الوثائق والمستندات والصور والأدلة المأخوذة من أرض الواقع، وهذا ما اعتمدته المقاومة في لبنان إذ لجأت إلى خطة ذكية لإرباك العدو إلى درجة الاستخفاف به من قبل جمهوره لكثرة إخفاقاته الناشئة عن سيل من الأكاذيب التي يبثها إلى جمهوره، حتى غدا موضع سخرية واستهزاء، بعدما تظهر المقاومة الحقيقة لتوقعه في مصيدة الخداع بكشف زيفه وكذبه أمام جمهوره، وهذا ما ظهر في العديد من الصور والأفلام المأخوذة من موقع الحدث مما جعل العدو يعيش الخيبة والخذلان.

لجأ العدو إلى بعض الأساليب والأفكار لبثها في بيئة المقاومة، لعلّه يجد بعض التبرّم منها أو تهتز صورتها أمام الجمهور، فقد حاول بثّ بعض الأفكار بغية إقناع الناس بأنّ المقاومة هي السبب الحقيقي في تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في لبنان مع سيل من الأكاذيب للتعمية عن الجهة الحقيقية خلف الأزمة، لكنّ قوة المنطق – مع ضعف الامكانات المادية – أدى إلى سقوط وتهاوي كل الدعايات والأكاذيب بوجود حكماء صانوا هذه المسيرة، ولا يخفى أنّ البعض قد وقع في حبال تلك الدعايات من مستويات متنوعة أثناء الاجتياح الإسرائيلي لبنان عام ١٩٨٢، والحروب التي تلتها إلى حرب الإسناد وأولي البأس، حيث قامت مجموعة من الخوَنة والعملاء والمرتزقة والمغفّلين عن قصد وغير قصد أنّ المقاومة هي سبب ويلات لبنان

متّخذين من فكرة أنّ العين لا تقاوم المخرز، ذريعة لإشاعة مقولة أنّ المقاومة قد هُزِمت بعد أن أبي هذه النفوس المريضة العزّة والنصر تحت شعار أنّ الجيوش العربية مجتمعةً انهزمت أمام العدو في بضعة أيام عام ١٩٦٧، فكيف لمجموعة من المتحمسين أن تتصدى وتقف في وجه الآلة الحربية الضخمة المدعومة من قبل القوات المتعددة الجنسيات، ويقف خلفها كل الإعلام الغربي وجزء كبير من الإعلام العربي والمحلي، بالإضافة إلى جمهرة كبيرة من المنظّرين لثقافة الإحباط كما حصل معي شخصيًّا عندما كنت أتعلّم في جامعة بيروت العربية مع أحد الأساتذة المصريين في مادة الإعلام حيث كان يمارس هذا الدور الخبيث في عملية التحبيط. فوقفنا في وجهه مجموعة من الطلبة رافضين هذا النوع من الدعاية التي تدعو إلى الاستسلام وقبول الهزيمة، لكن مع الأيام ظهرت قوة الحق وأثبتت فجر الانتصارات بعد سلسلة من الهزائم.

الحكمة:

من الطرق الأساسيّة في عمليّة التبيين التي أمر بها الله تعالى في كتابه العزيز: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ } ، يأمر الله تعالى الداعية إلى سبل الخير والفلاح، إلى استخدام الرفق واللّين والرقة، فالكلام الحسن له الأثر الطيب في النفس خاصة عند اختيار العبارات اللطيفة وبثّها في الوقت المناسب بعيداً عن التوتّر والانفعال والعصبية التي قد تأتي بنتائج عكسية.

فالداعية الحكيم والخطيب اللبيب هو من يمتلك نواصي القلوب بجمال البيان وحسن الطباع ورفعة الذوق في الخطاب، مع اختيار ما يناسب الأجواء والأذواق، فهو نهج العقلاء الذين يبحثون عن الحقائق ومكنوناتها، حتى يضعوا الأمور في نصابها الطبيعي وفق موازين محدّدة، فالحكمة اختصّ بها الله تعالى بعض عباده، حيث قال تعالى :{ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا } ، فهي الخير الكبير الذي لا يدرك قيمته إلا من منحه الله الفطنة والدراية وحسن التدبير، لذا عبّر عنها بعلم القرآن أو الفقه أو الإصابة والفهم والخشية وغير ذلك.

مهما يكن المقصود بها فهي تعبير عن ترجيح الأمور نحو الأفضل والإصلاح بإلهام إلهي لتوجيه الأمة نحو الصواب، بأن تعطي كلّ أمر حقّه ولا تتجاوزه وفي الوقت المناسب، كما الدواء للمريض، بحيث تتحرك حيث يجب وتقف حيث يجب، وتتكلم عندما يكون الكلام فيه منفعة وتجد له الآذان الصاغية وإلا فالصّمت أولى حيث لا جدوى من الكلام.

والحكمة لا تصل إلى الإنسان بالصدفة بل تكتسب عن طريق التجارب في الحياة وتوفيق الله، أي بالاستفادة من الدروس والعِبر التي تكسب صاحبها الحلم وتفتح له الطريق للبحث عن السُبل التي توصل إلى معرفة

حقيقة الأشياء وجوهرها، والاطلاع على ماهيتها والخوض في الأعماق لنتبيّن حقيقتها من زيفها، وكذلك تأتي بمجالسة أهل العلم والاستفادة من معارفهم، لذلك أوصى لقمان الحكيم ابنه وهو يعظه "يا بني، جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة، كما يحيي الأرض بوابل السماء" كما أن الحكمة تأتي نتيجة الارتباط بالله تعالى، والاعتصام بحبله، لذا اعتبرت من المراتب العليا التي قد يصل إليها الإنسان.

في اعتقادنا أنّ الحياة تسير وفق سُننٍ إلهية مُحكمة لا ندرك كُنهها، قد تكون مُحاله على فهم العامة بسبب الميل الفطري للسّواد الأعظم من الناس نحو الراحة والسكون، لكن سرعان ما تظهر النتائج بعد انجلاء الغبار، كما حصل في حادثة الطّفّ التي أدمت القلوب وأقرحت الجفون بشدّة أثرها، فقد مرغت بنجيعها ناصية التاريخ وأصبحت علامة فارقة على مدى العصور، لكنّها حكمة الله في ذلك أنّها أحيَت الإسلام من جديد وأعادت له الحياة بعد أن كاد يذوب في أحقاد جاهلية بني أمية، ومثال آخر كما حصل مع النبي آدم بعدما أكل من الشجرة خلافاً لأمر الله تعالى، ومع ذلك نرى في ذلك حكمة كونية عُرفت فيها منزلة الجنة وقيمتها وأهمية الطاعة وأثر المعصية وخطرها على ذرّية آدم.

لقد عاصرنا بعض المآسي والنكبات التي تحمل في ظاهرها الشرّ والإجرام والفتنة، لكنها تستبطن في داخلها الخير والصلاح والقوة للناس، وهي بذاتها اختبارات لغربلة الناس بين المتردّد والثابت والمنافق، فالاجتياحات الإسرائيلية للبنان في الأعوام ١٩٧٢ – ١٩٧٨ و ١٩٨٢ استنهضت في الأمة مكامن القوة ووضعتها في مقام التحدّي والمواجهة رغم قلّة العدد وندرة الإمكانيات، لكن بعون الله وتوفيقه انبلج من هذه العتمة فتية آمنوا بربهم وتصدّوا وتحدّوا وانتصروا، وغدت المقاومة رقماً صعباً يحسب لها ألف حساب، واضحت المقاومة الأولى في العالم التي تمتلك هذه القدرات من التجهيز والتسليح والإرادة والحكمة والشجاعة. في حين ألجأ الاحتلال قسمًا كبيرًا من الناس إلى الهجرة بحثاً عن ملجأ ولقمة العيش وإذ بهم يصبحون قوة مالية واقتصادية لا يُستهان بها، لذلك أصبحت الطائفة الشيعية رقماً صعباً في المعادلة اللبنانية وفي صناعة التاريخ بعد أن كادت تضمحل وتذوب.

والنموذج الآخر حصار الجمهورية الإسلامية الإيرانية لأكثر من أربعة عقود مما جعل منها قوة إقليمية هامة على المستويات كافة. وما تلك الإنجازات إلا نتيجة حكمة إلهية ظهرت وستظهر نتائجها في المدى المنظور، ممّا يوجب على الداعي النظر إلى أبعاد المشاكل وعدم حصرها في زمن محدد.

المداراة:

إنّما يميّز الإنسان عن غيره هي قدرته على التفاعل مع المتغيرات والتأقلم مع البيئة التي يعيش فيها، يتفاعل معها حزناً أو فرحاً، سلماً أو حرباً، لأنّ طبعه مفطور على الاجتماع ولا يمكنه العيش بمفرده بل إنه بحاجة ماسّة إلى محيط يتفاعل معه ويأنس به، قال تعالى:{ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}، فالفطرة الإنسانية تركن إلى العيش مع الآخر لأجل استدامة الحياة في دورتها الطبيعية، حتى الحيوانات لا تستقيم حياتها إلا ضمن جماعات كالنمل والنحل وغيرها، فكل مخلوق هو تكملة للمخلوق الآخر بعلمه وسلوكه وطريقة حياته، فمخالطة الناس من ضروريات الحياة لاحتياج الكل إلى الكل في تدبير شؤون الحياة، مع التفاوت في الثقافات والاتجاهات وأنماط التفكير والسلوك، لهذا لا بدّ من التعامل مع الآخر وفق مقتضيات الحياة بالرفق والحسنى مع الأخذ بعين الاعتبار ظروف كل شخص وكل مجموعة لئلا يحصل التباعد والنفور باعتماد سلوكيات متّزنة لأجل تقريب المسافات المتباعدة.

في هذا العالم المتعدّد المشارب والثقافات الذي يسوده الاستعلاء والتكبّر بسبب الانتفاخ المصاب به من القوة والتجبّر دون النظر إلى إنسانية الإنسان الذي يحتاج إلى كلمة جميلة، إلى بسمة إلى حسن رعاية وهي أمور غير مكلفة وإنما تحتاج إلى حلم وطيبة نفس ورقي أخلاق، ناهيك عن الناس الذين يحتاجون إلى رغيف خبز أو حبّة دواء والتي لا تكلّف البعض سوى التخلّي عن بعض الاستعلاء والنظر بإنسانية فقط، خاصّة في ظلّ ظروف حياتية صعبة هبطت به إلى الدرك الأسفل، إضافة إلى بثّ روح الإحباط للقضاء على كلّ أمل يراود الشعوب المغلوبة على أمرها، وهذا ما يتطلّب بذل بعض الجهد للاستماع إلى هواجس الناس والنظر في أحوالهم المتردّية، وتقديم النصح والمشورة للاستفادة من بعض الموارد وترشيد استهلاكها، لكن حبّ الهيمنة والسعي لإلغاء الآخر هو الذي حال دون تقدّم الشعوب ورقيّها مماّ خلق فجوة كبيرة بين عالم شمال مهيمن ومستغل بما يمتلكه من قوة اقتصادية مدعومة بقوة عسكرية ضخمة، وعالم جنوب فقير، مسلوب المقدّرات والخيرات لا يسمح له بالتقدّم والتطوّر، بل تفرض عليه سياسات اقتصادية ومالية جائرة معدة من قبل المؤسسات الدولية وعلى رأسها البنك الدولي وصندوق النقد الدولي كي يبقى سوقاً استهلاكياً لمنتجات عالم الشمال ويد عاملة رخيصة للاستفادة منها في الحقل الإنتاجي، حتى إنها لم تكلف نفسها بمبدأ المداراة التي ترعى حقوق هذه الشعوب ولو من باب الحياء بعد نهب ثرواتها ولم تحسن التعامل على قاعدة حقوق الإنسان، والنموذج الأبرز " الإتحاد الأوروبي على نحو خاص يسعى في أفريقيا إلى إغراق الأسواق بمنتوجاته الزراعية بصفاقه لا ترحم، فينجم عن ذلك التدمير المنتظم للمنتوجات الزراعية الأفريقية الحيوية.

لو أنّ هذا العالم أحسن لبعضه البعض ولو بالقليل من المداراة لما حدثت تلك النزاعات والمشاحنات لأجل إبقاء تلك الشعوب تحت رحمة المستعمر الجديد الذي خلت مشاعره من المودّة والإنسانية، ولو عمل بالحسنى لعمّت المودة والألفة بين الشعوب، وتحصّنت البشرية من وباء البغضاء والكراهية، فعن الرسول (ص):" مداراة الناس نصف الإيمان، والرفقة بهم نصف العيش" ، فالمداراة من الإيمان، وأقلها من الشعور بالمسؤولية تجاه الآخر حتى يستقيم المجتمع بعيداً عن الشحناء والبغضاء، وفي هذا المجال يقول الإمام أبي عبد الله الصادق (ع): "أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بإقامة الفرائض" فلقد قرنت المداراة بالفرائض التي أوجبها الله تعالى على عباده، لأنّ كسب قلوب الناس من المسائل التي تساعد على خفض مستوى التوتر الاجتماعي وتحدُّ من الخلافات وتعمل على تأمين الاستقرار الاجتماعي.

قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ}، فالله تعالى يأمر نبيه ويأمرنا باتباع طريق اللين مع الآخرين حتى وإن حصل منهم الأذى، لأنّ ذلك من رحمة الله التي أودعها في عباده المخلصين. إنّ استعمال القوة يؤدي إلى النفور والابتعاد، فلا بد من استعمال السلوك الحسن مع الآخر، حتى مع الذين فرّوا من معركة أحد وأظهروا الندامة على فعلتهم حين طلبوا العفو والمغفرة وتعدّى الأمر إلى المشاورة في الأمر لأجل تطييب الخواطر عبر إشراكهم في بعض المسائل، فالرسول (ص) الذي لا ينطق عن الهوى ليس بحاجة إلى آراء الآخرين كونه مسدّد من الله ويعرف العلاج والداء، لكن فعل ذلك من الناحية الاعتبارية للآخر.

إنّ الحلم وسعة الصدر من السّمات الأساسية في الإنسان المؤمن المكلّف ببناء المجتمع السليم، والذي يملك القدرة على الصمود في وجه الأعاصير. وهي صفات نبيلة تنسحب على القيادة الرشيدة التي تملك القوة والسّداد في استمرار الثبات على الصراط المستقيم، فلو خلت تلك الصفات لأصيبت الأمة بالأمراض التي تفسد عملية التقدم، ولذهبت الخطط أدراج الرياح، فعن أمير المؤمنين (ع): "آلة الرياسة سعة الصدر"، فالمسؤول وكلّ مكلّف يحتاج إلى الحلم والشجاعة وسعة الصدر لاستيعاب أطياف الناس وأطباعهم وتقلب أحوالهم.

الصّبرُ والاستقامة:

ما من عمل يُراد القيام به إلا ودونه عقبات وصعوبات لتحقيقه والوصول إلى الغاية المرجوة، وخاصة في ساحة الصراع والتحدّي حيث الآلة الإعلامية الضخمة المدعومة بجيش من الأقلام والكتبة، مسخّرة كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة لأجل النيل من كرامة الآخر والحطّ من عزيمته وتثبيطه في أهدافه.

يرفد هذا الجيش جمهور كبير من بسطاء الناس السذّج الذين ينجرفون بسهولة مع السيل، وهذه الآلة الضخمة لا بدّ من الوقوف بوجهها بنفس المستوى لكن بدون الأدوات غير المشروعة، معزّزة بالصّبر والثبات.

الصّبر خُلقُ الأنبياء ومفتاح الفرج إلى العزة والكرامة، وسيلة الأوصياء والعلماء والصلحاء، فهو قوة عقلية، ويعتبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، وقُرِن بالإيمان كما في الحديث المروي عن علي بن الحسين حيث قال: "الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له" لما للصبر من أثر في بناء شخصية المسلم التي تتغذى على القيم المرفدة لمسيرته تحدّياً للصعاب.

القرآن الكريم ركّز على الصبر في مواضع عديدة وقّرنه بالعبادات والأركان والمقامات، فقد قرنه بالصلاة: {وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ} وبالأعمال الصالحة: {الَّذينَ صَبَرُوا وعَمِلوا الصَّالِحات}، وبالتقرب: {وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}، وبالشكر: {لِكُلّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} وبالرحمة: {وتَواصَوْا بِالصَّبْرِ وتَواصَوْا بالمَرْحَمَة} وغيرها من الآيات المباركات التي قرنته بالصدق والتوكل والفلاح والجهاد.

هذا التنوع يدل على الارتباط الوثيق بين الصبر والكثير من السلوكيات الحياتية، فهو الدافع الكبير للاستمرار والمثابرة وقد وردت الكثير من الأحاديث الشريفة عن الرسول (ص) التي تحث على الصبر حيث يقول:" إنّ التضرّع والصبر والفرج مع الكرب وإنّ مع العسر يسرا".

فالإسلام الحنيف أكّد على وجوب التحلّي بالصبر باعتباره دعامة أساسية في تعزيز الإيمان لمواجهة النفس الأمّارة بالسوء ومواجهة أعداء الخارج، وكذلك الصيام والصلاة وغيرها من العبادات، أو جهاد العدو والتصدي له عسكرياً، وما يتبع ذلك من ألم وجراح وغربة وتشرد، كما حصل في جنوب لبنان في عمليات هدم البيوت وتلف المزروعات والتهجير من البلاد، والناس تصبر وتتحمل لأنها موعودة بالنصر، وكذلك الصبر على المستوى الفكري وعمليات التصدي للحملات الشعواء التي تُشنّ ضد الدين والإنسانية والقيم، التي لا تقف عند حدّ ولا يردعها وازع، إضافة إلى الضغوطات النفسية والاجتماعية والمادية التي قد تُخرج المرء عن طوره نظراً لشدّتها وقساوتها، لكن الأمل بالله والصبر على الأذى هما البلسمان اللذان يثبتانه على الجادّة الصحيحة.

لا يكفي الصبر للمواجهة بل يلزم الأمر إلى الاستقامة التي تعتبر من المهارات المطلوبة لاستمرارية الحياة الكريمة، فهي ركيزة أساس في جبهة الصراع بين الحق والباطل من خلال نبل المعاملة والوضوح في الأداء، وعدم التذبذب والاهتزاز أمام الأنواء، باختيار الطريق الأمثل لإيصال الحقيقة نقية خالية من الشوائب

بأسلوب صافٍ بعيد عن التمثيل والمواربة لما في ذلك من آثار نفسية جميلة على المستوى النفسي للذات وللعدو.

الموضوعيّة:

الموضوعية تُعدّ من الخطوات الأساسية لبلوغ الهدف المطلوب، وتحقيق المصداقية في العمل عبر إقصاء التحيز العاطفي والالتزام المسبق جانباً توخّياً للحقيقة باتباع الأساليب النزيهة واعتماد المقاييس العلمية والعقلية كي لا تكون الأحكام جزافاً من خلال الدليل والبرهان، لأن إدراك الحقيقة دونها عقبات، مهما بلغ الإنسان من الدرجات العلمية يبقى التحصيل لديه نسبياً قياساً إلى تعدد العلوم وتشعبها، فإذا اكتمل التخصص في مجال، فإن هناك عشرات المجالات تبقى المعرفة بها ناقصة أو منعدمة، لذا لا بد من رفع منسوب الإدراك بالسير ببعض الخطوات لتكون الحقيقة أكثر تجلياً منها سيطرة الباحث على نفسه وكبح جموحها كي لا تأخذه باتجاهات غير محمودة وتنحرف به عن جادة الحقيقة والتيه في أماكن يصعب الرجوع منها، وذلك بالعودة إلى نظريات أهل العلم والتخصص حتى يكون الدليل أقوى والبرهان أكثر مصداقية بعيداً عن الآراء الشخصية أو وجهات النظر المتوارثة، لأنه غالباً ما تنقاد الأفكار إلى طغيان العقل الجمعي أو الوقوف تحت المؤثرات البيئية أو الخارجية التي تستغل بعض الثغرات لتمرير بعض الأفكار التي يسهل هضمها من بعض ضعاف النفوس تحت حجة أنّ أكثر الناس يقولون كذا ويفعلون كذا، مع أن القرآن الكريم لم يمدح الأكثريات بل كان العكس، فعن رسول الله (ص) قال: " يا عمّار، إن رأيت علياً قد سلك وادياً والناس كلهم وادياً فاسلك مع علي فإنه لن يدليك في ردى ولن يخرجك من هدى " مما يعني عدم التأثر بما يفعله الناس ولا يقع تحت ضجيج الكلام.

كما روي عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال: " اعرف الحق تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف من أتاه "فالكثير من الناس يقع تحت تأثير الكلام المتداول، وقد يكون خداعاً في مضمونه مما يؤدي إلى الالتباس في الأمور بحيث لا يستطيع المرء التمييز بين الحق والباطل خاصة في الأجواء الضبابية. وقد تصدر الأفعال من أناس محل تقدير واعتبار، لكن بعد التدقيق والرجوع إلى المصادر يتبين خلاف ذلك، والخطأ في التقدير يؤدي إلى اضطراب في المنظومة القيمية والأسلوب في الحياة، خاصة في الأمور الدينية المتعلقة بالسلوكيات التربوية والأخلاقية التي هي من صميم الحياة.

فالانحرافات الفكرية التي حدثت في التاريخ ما كانت لتقع لولا الانحرافات في التدوين نتيجة الهوى المسيطر أو الرشوة أو إطاعة للسلطان، فلم يراعوا الموضوعية في تناول القضايا الأساسية في السيرة، ولم يقفوا على

الرأي الآخر، بل ذهب التعصب بالبعض إلى تأويل الأحاديث على هواه حتى ولو كانت خلاف القرآن الكريم والسيرة النبوية، الأمر الذي أدّى إلى نشوب صراعات مذهبية وطائفية لا حدود لها وأحياناً أبادت شعبًا بأكمله ولا زالت تحاول. والأنموذج الأبرز اليوم ما جرى في سوريا والعراق من تدمير ممنهج للقيم الإنسانية نتيجة ما زرعه علماء السوء من فتاوى مغلفة بأغطية دينية.

مراعاة الأصول في التّبيين:

إن الحديث عن الأدب واللياقات الاجتماعية والإنسانية في ظل الصخب والضجيج والتردي الأخلاقي كاد يكون ضرباً من الخيال والجنون وخروجاً عن المناخ السائد والسباحة بعكس التيار الجارف خاصة في ظل سيادة وهيمنة وسائل التواصل الاجتماعي ودخولها إلى كل بيت، ما أدّى إلى الاهتزاز في منظومة القيم والتردّي الأخلاقي تحت ذريعة التحضر والتمدن ومواكبة العصر، مع أن القيم الإنسانية، وبصرف النظر عن الدين، تدعو إلى الاستقامة وفق المنطق العقلي لما فيه الخير والصلاح للبشرية.

لقد أكدت مسيرة أهل البيت (ع) على التمسك بالأصول الدينية المأخوذة من مصادرها المعتبرة، دون ترك الفروع، والتي تعد من مسؤولية كل مكلف وفق استطاعته، وهذا يحتاج إلى وعي اجتماعي وتقوى إيمانية وفق المفهوم القرآني لأجل مواجهة المشاكل التي تحدث بل تداركاً للآتي من الأزمات وإلا انهار المجتمع تحت عجلات الحضارة الزائفة وأصبحت القيم أطلالاً، بالإضافة إلى زرع مفاهيم جديدة في النفوس كالتطاول على المقامات الدينية، والتشكيك بالشعائر الحسينية، والتشويش على المرجعية تحت حجة النقد والإصلاح، وبذلك يصعب التفريق بين النقد والإساءة، مع أن النقد هدفه الإضاءة على مواضيع الخلل مع تقديم الحلول دون التعرض للشخص وإلا إذا تجاوزت الحد لتصل إلى أصحاب الفكرة يكون الهدف النيل من الشخص وليس الإصلاح، وقد تتجاوز الأمور إلى أبعد من ذلك بالبحث عن عيوب وأخطاء لإفشائها أو اختراع عيوب وأخطاء وتعظيمها، وهذا سلوك يعتبر خلاف الأخلاق.

إن إثارة بعض الخلافات في المجتمع لها غايات غير شريفة، وخاصة الخلافات الصغيرة التي يسعى البعض إلى إعطائها الحجم الكبير ليكون صداها أكبر وأوسع، وأحيانا تثار لإلهاء الناس عن قضايا كبرى، لهذا كان العدو الإسرائيلي يعمد إلى تجويع الأسرى في سجونه كي لا يفكر الأسير إلا بمعدته وانتظار موعد الطعام لأجل حرف التفكير عن القضية الكبرى التي سجنوا لأجلها، وكذلك ما كان يجري في جنوب لبنان إبان الاحتلال الإسرائيلي، وخاصة الشريط الحدودي حول القرار ٤٢٥ وتأخذ الأمور جدلاً كبيراً يأخذ الناس إلى حيث يريد العدو من خلافات ونزاعات، والعدو ينظر من خلف الأسلاك مزهوًّا بما يحدث، وكذلك ما يحصل

اليوم على الساحة اللبنانية حول القضايا الاقتصادية والاجتماعية التي يسعى العدو إلى توجيه وحرف الأنظار عن المُسبّب الرئيسي لها مدّعياً أن سبب الأزمة تعود إلى سلوكيات بعض الفئات وخاصة أصحاب مشروع المقاومة والممانعة، مع أنّ للمسؤولين اللبنانيين النصيب الوافر منها، لكن المسؤولية الكبرى تقع على عاتق الدول الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية وممن يدور في فلكها والتي تحاصر لبنان وتريد الثأر منه بعد ما حلّ بها وبالعدو الإسرائيلي من خيبات ونكسات عطلت مشروعهم الشرق أوسطي الجديد.

هنا ينبغي على الفئة الواعية الحذر من تلك الفتن والدسائس التي يبثها الإعلام مدعوماً بأجهزة معروفة الأهداف، وذلك باعتماد استراتيجية دفاعية فكرية وعسكرية للدفاع عن الحق المشرف على الضياع، وبناء قاعدة ثقافية مهمتها التصدي لهجمات العدو التي لا تهدأ، وتحصين الشباب من الآفات بإعطائهم جرعات معرفية دائمة.

الالتزام بالقانون أو حاكميّة القانون:

إن الغاية من ذلك جعل الفرد بمستوى المسؤولية الملقاة على عاتقه، أي خدمة الناس وإنصافهم وعدم التعدّي على حقوقهم، فالقانون فوق الأشخاص مهما كانت مواقعهم ورتبهم، تقام الحدود على الجميع دون استثناء، يأخذون حقوقهم ويدفعون المتوجب عليهم، فالقانون هو السلاح الأمضى لإقامة العدل ومحاربة الفساد السياسي والاجتماعي والديني، وكذلك لحلّ الخلافات بين الناس، وإلا عمّت الفوضى وأصبحت البلاد تحت حكم شريعة الغاب مما يؤدي إلى تفكك أركان الدولة.

فالعمل وفق القانون واجب شرعي وإنساني، سواء كان القانون موافق لرغباتنا ومصالحنا أو مخالفاً لها، إن كان في دولة إسلامية أو غير إسلامية، فالالتزام به واجب كونه موضوعاً لخدمة الناس ولديمومة بقاء الدولة، مهما يكن فهو أفضل من عدمه لأنه لا يترك مجالاً للعدو من استغلال الفوضى والفساد للنفاذ إلى ساحتنا، فالحذر الدائم مطلوب في كل الأوقات، خاصة من الفئة الواعية المدركة لأبعاد الأمور والتي تعرف مخططات العدو ووسائله وطرقه للإضرار بالمجتمع وخاصة على المستويين الثقافي والعسكري باتباع الضوابط الأخلاقية التي حددها القانون وتحتّم الالتزام بها مهما كانت الظروف، وبذلك يتحتّم على الناس الوقوف عند حدودهم.

الإنسان الواعي يعتبر ثروة كبرى في بناء المجتمع، وهو الركيزة الأساسية فيه باعتباره النموذج القدوة الجديرة بالاحترام والتقدير ولا يعمل وفق هواه ولا مصلحته بل سلوكه يفرض عليه أن يحسن إدارة المواقف ويتحرك

وفق مقتضيات العقل والمصلحة العامة، فها هو القانون في حكومة الإمام علي (ع) يتساوى فيه المسؤول مع الفرد العادي، حيث ورد أن الإمام علي (ع) قد ولّى أبا الأسود الدؤلي القضاء ثم عزله، فقال له: " لمَ عزلتني وما خنت ولا جنيت؟ فقال (ع): " إني رأيت كلامك يعلو كلام خصمك" فالقضاء مهمته إنصاف الناس حتى بالنظرات والكلام، إضافة إلى فضّ النزاعات بين الناس ولا يجوز للقاضي أن يتجاوزها، لأن هناك قانوناً يحدّ من سلوكه، ومن هذا يتبين أن حكومة الإمام علي (ع) كانت حكومة عدل وقانون، الناس فيها متساوون، فالتهمة لا تستوجب السجن، والسّباب والشتيمة لا يستوجبان القتل، ولا يعاقب الفرد على الظن والنية، بل يطبق القانون عند حصول المخالفة، فالأولوية للإرشاد والتوجيه كونهما الأسلوب الأمثل لدرء المخاطر وإبعاد المشاكل عن الشعب في محاولة هداية من ضلت به السبل، بالكلمة الطيبة والحجة القوية، بهذا القانون يشعر الناس أن الدولة تتعامل معهم بموضوعية وإنصاف، وتعالج مشاكلهم بصدق واتزان بعكس القوانين الوضعية التي تتعامل مع الناس كأدوات وأرقام وفق هوى الحاكم، فيصبح القانون كخيوط العنكبوت التي تقدر على الحشرات الضعيفة بينما تفلت منه الحشرات الكبيرة، والنماذج أكثر من أن تحصى.

القانون الدولي الذي وضعه المشرّعون من الدول التي ربحت الحرب العالمية الثانية، لأجل إرساء العدالة والمساواة بين الدول وخدمة الإنسانية، لكن تبيّن فيما بعد أنّ القانون الدولي تمّ وضعه لخدمة الدول الكبرى ومصالحها فأصبح سوطًا تجلد به الدول المتمردة إلى أن أصبح القانون "يحتضر وعاجز عن أداء وظيفته" بعد أن تفشل ظاهرة مخالفة القانون من قبل الدول عينها التي وضعت القوانين، "وأن أول من يعبث بالقانون الدولي هم مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة" فأصبحت التجاوزات من سمات المجتمع الدولي المدعي التحضر، فإذا بالشعوب تصبح حقلاً لتجارب الشركات المتعددة الجنسيات والدول التي ترعاها.

إن الشعارات التي ترفع باسم حقوق الانسان، وحق كل فرد أن يعيش بكرامة ما هي إلا شعارات فارغة، فأين هو الحق الإنساني وفق معاهدات جنيف ١٩٤٩ فيما يتعلق بحقوق الأسرى وحقوق السكان المدنيين وواجبات القوى المحتلة والمقاتلين خلال الحرب؟، فالمثال ظاهر لكل ذي عينين، التحدي الفاضح للقانون الدولي من قبل الولايات المتحدة لقرارات الأمم المتحدة واتخاذ حق النقض الفيتو ضد كل قرار لا يوافق مصالحها أو مصالح أتباعها، فالولايات المتحدة هي التي تتحكم بقرارات الأمم المتحدة وقوانينها وحتى بالتوظيف والترفيع والإقالة، فهي المسيطرة على الأمم المتحدة بمساهمتها بنحو ٢٦٪ من ميزانيتها بالإضافة إلى المساهمة ببرنامج الغذاء العالمي الذي وفر الطعام ل ٩١ مليون إنسان عام ٢٠٠٤، وبذلك تكون واشنطن مساهمة بنسبة ٦٠٪ من البرنامج، لذلك فإن أي موظف لا يحظى بالتقدم والترفع إلا بالموافقة الصريحة من البيت

الأبيض ، وما الأشخاص الذين قبلوا في وظائفهم من مؤسسات الأمم المتحدة إلا نتيجة خدمات قدموها حتى ترضى عنهم أمريكا، وبهذا يقف العالم عاجزاً أمام سطوة الولايات المتحدة وجبروتها.

هناك الكثير من الأشخاص في لبنان وصلوا إلى مراكز عالية مكافأة لهم، وكي يبقوا العين التي تراقب داخل الحكومة وداخل الدولة حتى لا تخرج الأمور من تحت السيطرة، أمثال جماعة ١٤ آذار وخدّام السفارات الذين صنعتهم مطابخ الشر وكذلك ما يسمى بالجماعات التكفيرية وغيرهم من المسميات البراقة.

التّحقّق من الموضوع:

لمعرفة حقيقة الهدف لا بد من فهمه ودراسة أبعاده. وقراءة ما بين السطور كي نستطيع النقد بموضوعية بعيداً عن الفرضيات والتكهنات بسبب تعدد الآراء والقرارات، لأجل أن تأتي النتائج مثمرة ومحققة للهدف المطلوب، لأن الموضوع المثار له هدف محدد باتجاه جهة معينة لها القابلية بالتفاعل مع الموضوع، لذلك فإن الأفكار لا تطرح عشوائياً بل بعد دراسة قام بها خبراء في علم النفس والسلوك بعد إشباع البيئة المراد بثّ الإشاعة فيها أو الخبر بالدرس والتدقيق لمعرفة الوقت المناسب لإفشاء الخبر أو إجراء الحدث، وهذا يتم بعد خلق أجواء تنافسية بين عدة أطراف ولأسباب تافهة خاصة في المواطن المتنوعة سياسياً وثقافياً ودينياً، وأحياناً يكون الموضوع المطروح غير واضح المعالم حسب الظاهر وغير معروف الباطن، وبذلك يجري التحارب بين الأطراف إلى حد التقاتل لخلق بيئة مناسبة لبثّ ما يريده العدو، ولفهم ذلك ينبغي التأني في دراسة ما يطرح من قضايا والتدقيق بها بعقلانية ووعي للوقوف على حقيقة الأمر لمعرفة الجهة الداعمة والتي تقف خلفه، وهذا يحتاج إلى عملية تطوير الذات وتغذية الحقل المعرفي لسدّ كلّ الثغرات الهشّة والقابلة للكسر وملء الفجوات الثقافية التي تزداد يوماً بعد يوم ما يسبب ضعف المدارك وقلة المعارف التي لو استمرت قد تصل إلى الدركات الدنيا من الحياة، فيصبح المجتمع مجرد أداة طيّعة في يد الغير ومطيّة لأفكاره وأهدافه التي ما أنزل الله بها من سلطان، فالدراية والتحصين من الأساسيات الرّادعة والمقاومة لسموم الغرب البالية، وذلك بسلوك الطرق التي توصل إلى منابع المعرفة، كالقراءة والتعليم والتعلّم والسؤال والمناقشة، لتصبح الرؤية أكثر وضوحاً ويسهل فهم الأبعاد الحقيقية للحدث، فلا يكتفي برؤية ظاهره بل يتعداه إلى دراسة عميقة الخلفيات من خلال التحليل والربط والاستنتاج، لأن بعض المظاهر قد تبدو حسنة، لكنها تخفي في طياتها السوء والخداع، يقول علي شريعتي في كتابه النّباهة والاستحضار:" عندما يشب حريق في بيت ويدعوك أحدهم للصلاة والتضرع إلى الله ينبغي عليك أن تعلم أنها دعوة خائن" ، فالاهتمام بغير إطفاء

الحريق والانصراف إلى عمل آخر هو بعينه معصية لله، فالأولى إطفاء الحريق والصلاة قد تؤخر عن وقتها، هناك نجد تزاحماً بين الفاضل والأفضل.

باتساع دائرة الوعي تصبح الرؤية أكثر وضوحاً ونقاءً في الذهن، عندما كنا صغاراً حيث لا إدراك لحقيقة الأشياء كنا نتصور أن أشخاصاً صغاراً يجلسون في الراديو ويتحدثون، لكن مع اتساع الإدراك اختلفت الصورة، وهكذا النظرة إلى الأحداث، فمع الوعي تقلّ الانفعالية والعاطفية والغوغائية وتقرأ الأمور كما يفرضها المنطق لا كما يطلقها عامة الناس وخاصة الأقربون والأصحاب وزملاء العمل الذين يشكلون مجموعة ضغط، ففي هذه الأجواء الصعبة مطلوب الدقة والتأني لاستيعاب الأمر ومن ثم الحكم عليه بالموافقة أو المعارضة بعد وضع جميع الاحتمالات التي تخطر في الذهن والمقارنة مع أحداث مماثلة حصلت للخروج بالحقيقة وحصرها باتجاه محدد: أمني، سياسي، اقتصادي، شخصي، وعدم خلط الأمور، مع تحرك هامشي تحسّباً لأمور لم تخطر بالبال، والتعامل معها بعقلية رياضية صرفة قد تقود إلى نتائج ثقيلة على أصحاب المصالح الشخصية ولا تتناسب مع طموحات البعض وخلاف الجو العام السائد، وبهذا يتم تشكيل الأحداث وفق معطيات جديدة قائمة على الدليل، وهذا يعكس ما جرى من قبل لجان التحقيق بمقتل الرئيس رفيق الحريري إذ لم يبحثوا عن الدليل الذي يوصل للحقيقة، بل وضعوا هدفاً لاتهامه وفسحوا طرقاً للوصول إليه على حساب الحقيقة.

من الآفات الاجتماعية التمسك بالعادات والتقاليد التي لا تستند إلى قاعدة منطقية ولا أساس علمي ولا مرجعية دينية لها، لهذا تعتبر من التحديات الكبرى التي تواجه الفئة الواعية التي تسعى جهدها لإصلاح المجتمع ووضعه على الطريق الصحيح، كونها تستحضر أفكاراً جديدة غريبة على المجتمع، لذلك نجد صعوبة في شق طريقها لتحقيق هدفها، وكثيراً ما توضع لها العراقيل من قبل فئة تصرّ على التمسك بالتقاليد القديمة: {إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنّا على آثارهم مهتدون}، ويصعب الخروج منها بسهولة.

لا يمكن بناء وطن تقوم ثقافته على الأوهام والتقاليد البالية تحت شعارات ابتكرها علماء السوء أدت إلى تدمير دول وتهجير شعوب بأداة سلفية متوحشة جعلت الأمل بالتطور والتقدم محالاً بعد أن حاولت قلب المفاهيم.

الفارق بين التّبيين وعرض المشاكل:

إن الألفة بين الناس من الركائز الأساسية في تطور البلاد على جميع الصعد على قاعدة قوله تعالى :{ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} ، والتي تعتبر من أعظم القواعد التي أرساها

القرآن الكريم والتي تشمل كل متعلقات البِرّ، من طاعة الوالدين إلى حسن التربية والجوار إلى دفع الحقوق وغير ذلك مما أكد عليه الإسلام الحنيف لاستدامة الحياة، وخلاف هذه القاعدة التصدع والانهيار والتراجع وبذلك يصبح ساحة مباحة لولادة المشكلات واستغلالها من قبل أشخاص داعبت أنوفهم رائحة الملذات الدنيوية ، وقد تكون مشكلات وهمية لا أساس لها من الصحة، ولا مصدر لها، لكن النفوس الضعيفة قد تستثيرها إما خوفاً أو طمعاً أو انتقاماً، وقد تتجاوز حدّها الطبيعي بالتعرض لأشخاص معينين لهم مكانتهم ومراكزهم في المجتمع وربما الشخص بذاته ليس المستهدف، بل يكون الخط الذي يتبعه، ويستغل سلوكه للانتقام، مع أن سلوك البعض قد يجعل منه نافذ الدخول إلى أماكن كان من الصعب الوصول إليها لولا ذلك السلوك، فالمنطق يفرض تحديد التجاوزات وتشخيصها لأجل إصلاحها، فلا يكفي أن تكون ضد الطبقة الحاكمة في لبنان واتهام الجميع بخراب الدولة وفسادها وخاصة الاتهام من جهات مشبوهة الانتماء والسلوك، فالأولى عرض المشاكل وتسميتها مع إيجاد الحلول والبدائل وليس استبدال فاسد بفاسد، بذلك تضيع الأهداف وتغيب الحقائق بالتعمية على فساد بجرائم لا إنسانية وتمرير أهداف مشبوهة.

التاريخ شاهد على جرائم كبرى قامت بها الدول الاستعمارية على مدى قرون تحت ما يسمى الحضارة، وإذ بهم يلقون بالشعوب – وخاصة الملونة – في أتون ملتهب من المشاكل، كالتمييز العنصري، وسرقة الثروات بحجة السلاح الكيميائي في العراق وتدمير البلاد وقتل وتشويه الملايين، وكذلك ما يتم السعي له باتّهام الجمهورية الإسلامية بتصنيع سلاح كيميائي، بينما الهدف إبقائها تحت رحمة الدول الكبرى وعدم التفكير بالنهوض والتطور، حتى إن الدول المستعمرة لم تترك مساحة للشعوب المغلوبة للتعبير عن هواجسها وقلقها تجاه ما يحدث حتى مجرد الشكوى لمجلس الأمن مع أنها غير ذي جدوى بسبب الهيمنة الأمريكية على العالم وهي التي تقرر من هي الدول الديمقراطية وغير الديمقراطية، وتضع الأوسمة والألقاب لأصحاب الحظوة ممن يسير في ركابها، وهذه الهيمنة انسحبت على غالبية المؤسسات الدولية الصحية والرياضية والمالية والاقتصادية وحتى على جائزة نوبل للسلام التي هي فقط من نصيب المحظيين، أما الآخرون فتخترع لهم تسميات عجيبة كدول الشر أو غير الديمقراطية أو التي تتجاوز حقوق الإنسان مع أن التاريخ يندى جبينه من مجازرها وسوء سلوكها مع العالم حتى مع شعبها الغارق في الرذيلة والفساد بوجود ملايين المشردين في الشوارع.

إنّ الشعارات التي تُرفع ضدّ المستكبرين ليست وليدة تعصّب أو كراهية، بل نتيجة سلوك لا إنساني قامت به تلك الدول على مدى قرون، من المجازر الجماعية في فيتنام، إلى الإعدامات الوحشية في الجزائر، إلى قنابل الموت في اليابان التي أبادت مئات الألوف، إلى العراق وسوريا وليبيا واليمن، إلى إيجاد قاعدة عسكرية

متقدّمة للغرب المتمثّلة بالكيان الصهيوني، إلى حماية الأشخاص الذين حاولوا النيل من الإسلام من سلمان رشدي إلى الذين حرقوا وأهانوا المصحف الشريف في فرنسا والسويد والدنمارك إلى الذين يمنعون ممارسة الشعائر الدينية ويمنعون الحجاب، كلّ ذلك أدّى إلى ولادة حالة من الكراهية والمقت لتلك الدول التي لم تترك موبقاً ضدّ الإنسانية إلا وفعلتها، فكيف للشعوب المنهوبة والمقتولة والمسحوقة أن تحبّ تلك الدول وتحترمها، مع أنّ الدين الإسلامي دين التسامح والعفو، لكنّهم لم يتركوا المجال للقيم الإنسانية أن تأخذ مجراها في العلاقات بين الدول محاولين إطفاء كلّ أمل لبناء الدول وتطويرها بل هناك محاولات حثيثة لبثّ روح اليأس والإحباط مدعومة بشيء من الشائعات البغيضة التي تدفع الناس بعدم الثقة بأنفسهم وأنّهم لا يستطيعون القيام بشيء، ويستطيع الغرب تأمين مصالح تلك الدول لكن بعد الخضوع والتصالح مع الاستكبار، مع أنّ الوعود الزائفة للدول التي خضعت لا زالت حبراً على ورق لم ينفّذ منها شيء سوى تراكم الديون والأزمات.

هذا العالم المستكبر الذي يعيش أزمة أخلاقية تهدّد المجتمعات بأسرها بسبب التباين والاختلاف في النظرة للحياة بين من يرى أنّ المادية هي أساس التقدّم حتى على حساب القيِم الدينية والأخلاقية وخلافاً للسُنن الطبيعية، وبين من يراها على أساس أخلاقي وإيماني نتاج العقل والروح المرعيّة من الشريعة السماوية، لكن في ظلّ عالم يحكمه التوحّش تحت سطوة الآلة العسكرية والهيمنة الاقتصادية والمالية وتسخير كلّ المنظمات والهيئات والمؤسّسات الدولية لخدمتها، لا يمكن أن يجد العقل طريقه لقيام عالم نقي خالٍ من الإجرام والأطماع التي تهدّد جودة الحياة بابتداع مسارات جديدة لهدم القِيم والتحلّل من الشرائع السماوية.

فالفرق شاسع بين من يقوم بتشخيص الأمراض والوقوف على حقيقتها ووصف العلاج المناسب لها بالاستعانة بأهل العلم والمعرفة، وبين من يبحث عن مشكلات أو خلق مشكلات لإثارة الفتن وتقليب الرأي العام، لذا ينبغي عدم اليأس، والتسلّح بالأمل، وأنّ الحقّ سينتصر في نهاية المطاف والباطل سينهزم وسيندثر بإذن الله، وهذا ما يجب أن يعرفه الناس وأن يكونوا على بيّنة منه.

الخاتمة:

في نهاية المطاف لا بدّ للحكمة بأن تشقّ طريقها الوعِر للوصول إلى العقول الراقية التي لا يعيقها الضّجيج والصّخب المتواصل لأنّنا نعيش في عالمٍ متلاطم الأنواء، ممّا يصعب على الربّان إدارة دفّة سفينته بالاتجاه الصّحيح، فلا بدّ من مجموعة عوامل تفرض نفسها لأداء المهمّة بالشكل الصحيح وذلك بالابتعاد عن السرديّات الخرافيّة التي تروق للكثيرين من أصحاب النفوس الضعيفة، ويتحقّق ذلك بالشجاعة

وعدم الخضوع للتهويل والابتزاز مهما اشتدّت الظروف، واعتماد الصّدق رغم الكلفة العالية، والأخلاق السامية كمنهاجٍ قويم في المهارات الإبداعية للوصول إلى قلب المتلقّي، مع أنّها لن تجد طريقها إلى الذين ران على قلوبهم من المتوحّشين والتكفيريّين والصهاينة، لكن يبقى الأساس ما أمر به الدين الإسلاميّ وفق القاعدة القرآنية { إِدْفَعْ بِالّتي هِيَ أَحْسَن} إلّا مع العدوّ التي لا تنفع معه إلّا القوّة والعصا الغليظة، أمّا مع غيره فبالإمكان الوصول إلى تحقيق الأهداف عن طريق المداراة باعتبارها نصف الدين كما في الحديث، لتسلك الكلمة الصّادقة طريقها في مجتمعٍ متعدّد المشارب والأهواء والمذاهب. لربّما كلمةٌ طيّبة تفتح قلب الآخر، مع الصّبر وحسن الأداء وعدم التزلزل عند المنعطفات الصّعبة، والثبات على الأهداف الرئيسيّة ومراعاة الأصول التي خطّها الدين الحنيف باعتباره صاحب الحاكميّة المطلقة على الأرض.

المقصود بأدبيّات التّبيين سلوك طريق الحقّ وإظهار أنّ العمل في خدمة الناس لا ينفصل عن سبيل الله، لهذا علينا ألّا نكتفي بعرض المشاكل والصّعوبات فحسب، بل بإيجاد الحلول المناسبة لكلّ أزمة أو حادثة ستحدث في المستقبل لوصف العلاج المناسب بعد تشخيص الداء.

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم
٢. ابن ابي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، –بيروت – لبنان – ٢٠١٢
٣. جان زيغر، إمبراطورية العار، ترجمة الياس الزحلاوي، –دمشق – ٢٠١٤
٤. الحر العاملي، وسائل الشيعة، مؤسّسة آل البيت (ع) لإحياء التراث – بيروت لبنان – ٢٠٠٨.
٥. حسين النوري الطبرسي، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث – بيروت –لبنان ١٩٨٧.
٦. علي الخامنئي، جهاد التبيين، مؤسّسة الثورة الإسلامية للثقافة والأبحاث، طهران، دار المودّة للترجمة والتحقيق والنشر– طهران – ٢٠٢٢
٧. علي شريعتي، النباهة والاستحمار، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان – ١٩٨٤.
٨. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات –بيروت – لبنان – ٢٠٢١.
٩. محمد بن الحسن الطوسي، الأمالي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان – ٢٠١٣.
١٠. محمد بن يعقوب الكيليني، أصول الكافي، دار التعارف للمطبوعات – بيروت – لبنان –١٩٩٢
١١. محمد حسين الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات –بيروت –لبنان ١٩٩٧
١٢. محمد الريشهري، ميزان الحكمة، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ٢٠٠١